سلســـلة

رسالة منبـــر جامع

عمرو بن العاص

(٢)

حديث الصيام

الدكتــور

عبد الصبور شاهين

خطيب مسجد عمرو بن العاص



تقديم

فى حديث عن الصيام يتوقع القارىء أن يتناول مايتصل به من بيان فرائضة ونوافله ، أركانه ، وآدابه ، بدايته ، ونهايته ، حلاله وحرامه ، وأحسب أن ذلك كله صار من المعلوم للكافة ، مالضرورة ، فكل مسلم يعلم الصوم المفروض ، والصوم المندوب ، كما يعلم ، مايتصل بالصوم من أحكام تضمن صحة الأداء ، ووحسن الجزاء ، بفضل الله وحده .

أما الحديث الذى نقدمه اليوم بمناسبة رمضان ١٤١٤ هـ فهو ماسبق لمنبر مسجد عمرو بن العاص أن أستمع إليه من تفسير لآيات الصيام التى جاءة فى سورة البقرة، وتناولها المنبر بالتفصيل ، فى سياق تناولة للسورة وضمن محاولة لتفسير القرآن الكريم من فوق المنبر العتيق . ولذلك سوف يجد القارىء الحديث غير مرتبط بالمناسبة التى تظهر فيها هذه الرسالة، ولكنة

حديث حى ، فيه حرارة الكلمة المنطوقة ، ودفؤها ، وطبيعتها الحركية الموافقة لكل زمان .

ولاشك أن هنالك فرقا بين الكلمة المكتوبة التى تنسق على نمط معين ، وبين الكلمة المنطوقة التى تأتى عفوالخاطر ، وتتدفق مع هدير المنبر ، وتدافع أفكاره ، وهو ما يجعل لكلمة هنا مذاقا خاصا ، وطعما متميزا .

ليست هذه هى المرة الأولى التى ينشرفيها حديث منطوق فقد ظهرت فى الواقع مجاميع من أدب المنبر ، للأستاذ محمد الغزالى ، والشيخ المحلاوى ، الشيخ عبد الحميد كشك ، وغيرهم ، وأثبت القراء أنهم يتقبلون هذه اللغة بالكثر من الاحتفاء ، وأنهم يتلافون المسافة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، تقديرا لرسالتها ، وعمق تأثيرها فى الوجدان المسلم .

على أنه لايوجد فرق كبير بين هذه اللغة ولفة الصحافة التى تعود الناس على مطالعتها كل يوم ، وفيها الغث ، وفيها السمين، بل إن مضمون لغة الخطبة يرتقى كثيرا عن مضمون

ولغة الصحافة، لأنه يقوم على أساس النص القرآنى ، أكرم النصوص وأقدسها ، ولأنه يمس مصالح الجماهير مباشرا ، ولأنه يجد فى نفوس السامعين صداه الذى يتردد فى جنبات الأنفس ، ويؤثر فى أعماق القلوب .

ولذلك فإنى أرجوأن يجد القراء فى هذه الرسالة نموذجا لأدب المنبر ، الذى يحاول إنزال النص القرآنى على الواقع المعاش ، حتى يألف الناس التماس الحلول لمشكلاتهم فى هذا القرآن ، ولكى يحسنوا التعامل معه فى حياتهم العملية ، فيعيشوا بالقرآن ويعيش معهم القرآن .

وإنى لأسجل هنا أن منبر عمرو بن العاص قد استطاع حتى الآن أن يقدم لجماهيره تفسيرا لقدر كبير يتجاوز ستة أجزاء من المصحف ، أى : إنه تجاوز خمس القرآن ، ولى أمل أن تستمر المحاولة لتقطع مراحل أخرى فى التفسير ، فإذا منّ الله سبحانه على عبده ، قائل هذه الكلمات ، وفقه لتفسير القرآن كاملا ، ومسجلا على أشرطة ، من خلال خطبة الجمعة ، ونحن ماضون

فى تفريغ هذه الأشرطة ، وتنسيق لغتهـا على نحو ييسر قراءتها، فى محـاولة لنشر هذا العمل الذى يسـتهلك العمـر ، ويبارك فى الوقت نفسـه ، ولن تكون هذه المحاولة إلا إسـهاما متواضـعا فى مجـال الدعوة إلى الله ، تقـرب إلى الناس لغة الكـتاب الكريم ، وتربطهم بتـعاليـمـه ، وتهديهم إلى شـرعـه القويم ، ونسـأل الله سبـحانه أن يكتب لـنا التوفيـق فى العمل ، والبـركة فى العـمر ، والخير في الدنيا والأخرة .

دكتور
عبد الصبور شاهين

رمضان ١٤١٤ هـ .
فبراير ١٩٩٤ م.

فريضة الصيام

يقول الله تبارك وتعالى .. فى كتابه الكريم من سورة البقرة :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ياأيهاالذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ولتكملوا العدة

-هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق يوم ٢٤ محرم ١٤١٢ هـ -٢٤ يوليو ١٩٩٢ م أثناء تفسيره لسورة البقرة للآيات ١٨٣ -١٨٦ .

ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فلستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ﴾[1] .

أيها المسلمون ..

هذه آيات من كتاب الله تعودنا أن نتناولها دائما فى استقبال شهر رمضان ومن المؤكد أن كثيرين منكم يذكرون تفسير هذه الآيات وماتنطوى عليها من اشارات .. ودلالات .. وأوامر يلتزم بها الذين أمنوا وكتب عليهم الصيام لكن نحن فى منهاج مستمر نحن نبين كتاب الله تبارك وتعالى- لانريد أن تفوتنا منه أية واحدة نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يعيننا على استمرار هذه المهمة وعلى كمامها لتكون بين الناس هدى ورحمة.. وبيانا .. وموعظة .

١- سورة البقرة الآية ١٨٣ - ١٨٦.

فريضة الصيام ورحمة الله

الواقع أن هذه الآيات فيما تدل عليه تدل على فرضيةالصيام، وأنه فُرض علينا كما فُرض على من قبلنا ، وأن الله تبارك وتعالى فرضه ليكون وسيلة لتحقيق التقوى ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾(١).

ثم إن الله – عز وجل – يقول أن الصيام الذى فرض عليكم لم يفرض تعنتًا ولامشقة دائمة، وإنما جاء ﴿ **أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾(٢) لم يُعَنِت الله – تبارك وتعالى –في تشريعه للصيام على عباده المؤمنين ، وإنما جعل هذه المسألة فى حدود الوسع .. وفى حدود الطاقة من كان صحيحا فليتزم بالأمر ، ومن كان مريضا أو على سفر فله أن يفطر ، ثم يصوم عدة من أيام أخر .ومن رحمة الله – تبارك وتعالى – أنه لم يذكر نوع المرض ، لم يقل من كان

١- سورة البقرة الآية ١٨٣.

٢ –سورة البقرة الآية ١٨٤ .

مريضا بمرض يلزمة ، الفراش ، أو من كان مريضا بمرض عضال . . أو من كان مريضا بمرض مزمن ، وإنما أطلقه المسألة إطلاقا .

﴿ فمن كان منكم مريضا أوعلى سفر فعدة من أيام أخر ﴾[1].

ولم يقيـد السفر أيضـا بل قال أي سفـر .. ولذلك فإن السنة ترشدنا إلى هذه الرخصة كمـا مارسها رسول الله - ﷺ - فى حدودما يكون متيسرا للمؤمنين .

***

١-سورة البقرة الآية ١٨٤ .-

وتعالوا بنا نستعرض بعض لمسات هذه الآيات لنرى آية رحمة خصنا الله تبارك وتعالى -بها وتحدث إلينا من خلالها ؟:

﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه ﴾ (١).

يقول المفسرون ان كلمة يطيقونه هنا بمعنى لايطيقونه ، أو أن القرآن استعمل كلمة «يطيقونه» ليدل على أنهم يتحملون الصيام بجهد يرهق طاقتهم، **﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾** (٢).

فالله – تبارك وتعالى – يريد من عباده المؤمنين أن يفهموا أن هذا الدين دين يسر لاعسر .. دين إيمان سهل لامشقة فيه ولا إعنات على هؤلاء الذين يتبعونه ويلتزمونه.

١- سورة البقرة الآية ١٨٤.

٢- سورة البقرة الآية ١٨٤ .

﴿ فمن كان منم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذي يطيقونه ﴾ (١).

من الشيوخ والزمنى والمرضى الذين لايستطيعون أن يؤدوا الصيام **﴿ فدية طعام مسكين ﴾**(٢).

يطعمون عن كل يوم مسكينا يعطونه مايكفيه فى ذلك اليوم ثم يجعل الفدية طعام مسكين لكن **﴿ فمن تطوع خيرا ﴾** (٣) فأعطى ثلاثه مساكين .. أو عشرة مساكين فى كل يوم بحسب طاقته ، فهو خير له والقرآن يجعل المسألة موكولة إلى خيار المؤمن فهو لايلزمه إلا طعام مسكين ، إن كان يملك طعام المسكين ، فإن لم يكن يملك طعام مسكين فلاحرج عليه .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ - وشكى إليه أمراً .

- فقال له : - تُكَفِّرُ بإطعام مسكين .

- فقال له الرجل: ليس عندى ما أطعمه للمسكين .

١، ٢، ٣-سورة البقرة الآية ١٨٤ .

– فقال له الرسول٦ ﷺ : خذ هذا الطعام وأطعمه للمسكين.

– قال له الرجل : أأتصدق به على أفقر منى يارسول الله .

– قال له : إذن .. فهو صدقة لك .

بكل بساطة .. بكل سهولة .. بكل يسر لم يعنت على أحد .. ولم يشق على أحد ﴿ **فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ (1).

* * *

١– سورة البقرة الآية ١٨٤ .

علاقة القرآن بشهر رمضان

ولابد أن نعلم أن هذه الفريضة عندما جاءت كان ذلك فى أول الأمر شاقا فكان الدين يحاول أن يحبب الناس فى هذه العبادة الشاقة ولاسيما فى بلاد نحن جميعا نعرف مافيها من مكابدة الحر.. والحرارة .. وقسوة الجو ومع ذلك فإن الاسلام أخذهم بكل راحة .. وبكل هدوء ثم قال لهم مايحببهم فى الصيام فذكرلهم قوله ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن** ﴾[1] فإذا كان القرآن رحمة لكم واذا كان القرآن شريعة أجبتموها وآمنتم بها فإن مما يتناسب مع تكريم القرآن أن يكرم الظرف الزمنى الذى نزل فيه بأن يصوم الناس هذا الشهر

﴿ **الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾[2].

١،٢ – سورة البقرة ١٨٥.

ثم يقول : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾ (١).

وهو هنا يكرر تأكيد الرخصة للمرض والسفر ، ولايقيد المرض والسفر بأى قيد ، وانما يطلق ذلك اطلاقا ، بحيث يستطيع المسلم أن يمارس فى حدود إيمانه وإحساسه بالواجب رخصة منحه الله إياها ، دون أن يكون فى ذلك إشقاق عليه وإعنات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الاسلام فى الظروف الأولى كما نرى كان يترك الأمر لإيمان المؤمنين، حتى إذا جاءت العصور التالية وبدأالناس يتحايلون على الرخص ويبدو من تصرفاتهم أنهم يسيئون استغلال هذه الرخص بدأ الفقهاء يضعون شروطا ويفرضون حدودا وقيودا على الناس .

مع أن الفرض أو القيد أو الشرط ليس إلا إحساس المؤمن بسلامة تصرفه ، لأننا قد نكون محتاجين إلى القيود وإلى الشروط فى ظروف المعاملات المادية ، ولذلك سنجد أن هنالك

١- سورة البقرة ١٨٥.

تدقيقا شديدا فيما يتعلق بالمعاملات المادية لايوجد أبدا شيء غامض فيها وإنما يتحدد كل شيء فيها تحديدا دقيقا أما فيما يتعلق بالعبادة والعبادة أساسا إنبعاث إيمانى من داخل الإنسان فإن الإسلام يترك للفرد المؤمن وأن يُحكم فى الموقف ضميره لأن التعامل هنا مع الله – تبارك وتعالى – ولاسيما فى الصوم .

فنحن نقرأ قول الرسول ﷺ – فيما روى فى الحديث القدسى :

« كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع طعامه وشرابه من أجلى ، الذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ».

هنا نجد أن سر العبادة فى الصوم لايطلع عليه إلا الله – تبارك وتعالى – .

ولا يعلم سره إلا عالم الخفيات العليم بذات الصدور .

ومن هنا نجد أن الرخصة كانت فى أول الأمر متروكة لإيمان الناس ولضمائرهم ولإحساسهم بالواجب ، وبما يطيقونه من

هذا الواجب ؛ أما فيما بعد فقد جاءت القيود والشروط حتى تضبط تصرفات الناس بعدأن كثر الفجرة والخوارج على قواعد الشرع لقد أصبح الفقهاء مضطرين إلى وضع بعض القيود والشروط من أجل أن تنضبط أحوال الناس فى المجتمع ، لكن الأصل أن المؤمن متروك لضميره يمارس الرخصة بقدرما يطيق دون إعنات ، وتفريط أو إفراط .

* * *

هذا هو كل مافى هذه الآيات ولكن الجميل فيها أن يعقب عليها القران بقوله – تبارك وتعالى – : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ (١).

وإذا قرأنا هذه الآية مع شىء من التدبر ولاسيما أنها تعقيب على آيات الصيام والصوم حالة من حالات النفس ،ليس مجردالجوع والعطش ، ولكنه حالة تُشَفُّفُ النفس .. وترقق الضمير والوجدان .

يشعر الصائم دائما أن له علاقة بربه وهو صائم أكثر حضورا من علاقته وهو مفطر ، ولايتصور أن يرتكب الصائم جريمة فالصائم لايقتل .. والصائم لايسرق .. والصائم لايغتال حقوق الناس ، انما يغتال حقوق الناس ويرتكب جرائم القتل والسرقة المفطرون فى ٩٩٪ من الحالات، لايمكن أن يكون الانسان صائما ويرتكب جريمة ، ولذلك فإن الصوم تربية حقيقية لوجدان

١ – سورة البقرة ١٨٦.

المؤمن لأنه يدفعه إلى نوع من الزهادة والبعد عن المحرمات .

هو زاهد فى الطعام .. وفي الشراب .. وفى العلاقة بزوجه ، وكل ذلك من أجل الله ، وهو فيما سوى ذلك أزهد .

فلا يتصور أبدا أحدٌ أن يفكر الصائم في ارتكاب جريمة القتل ، لأنه أن وجد من خياله قوة على إرادة القتل فإنه لن يجد من بدنه قوة على تحمل الجريمة فبطنه خاوية ، وحلقه جاف ، وجسده واهن ، وهو بذلك لايستطيع تحمل الجريمة أن يضبط أعصابه وأن يستعد لارتكاب الجريمة أن كانت سرقة .. أو مادونها من الجرائم .

إن للصوم أثرًا تربويا عميقا فى كيان المؤمن ، فهو حرمان مشروع، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، ولابأس أن نجد بعض الناس يخالفون هذه القاعدة لكن المؤمن فى حالة الصيام لايمكن إلا أن يكون على علاقة بربه تضعف أو تقوى وهو وعد الله فى قوله ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾[1] ونغمة القرآن هنانغمة عجيبة ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب**﴾[2]

١- سورة البقرة الآية : ١٨٣ ٢-سورة البقرة الآية ١٨٦.

انظروا إلى نغمة الأية ، لم يقل له (إذا سألك المؤمنون عنى) وإنما قال :

﴿ **وإذا سألك عبادى** ﴾ [1] فهو يضعهم فى مقام يشرفهم حين يضافون الى ضمير الربوبية ، (عبادى) أى عباد الله .. عباد الرحمن ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب** ﴾[2] ثم إن الآية لم تقل: (فقل لهم : إنى قريب) وإنما قالت ﴿ **فإنى قريب** ﴾ وهى اجابة مباشرة من الله - تبارك وتعالى - فالسؤال موجه الى الرسول ﷺ ، وطبيعى أن تصدر الأجابة عن رسول الله ﷺ لأنه هو المسئول ومع ذلك فإن الأية تقفز فوق هذه الحواجز وتتجاوزها إلى أن يكون الجواب مباشرا لعباده سبحانه :

﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان** ﴾ [3].

الله أكبر ، على هذه الرقة .. هذا الحنان الربانى الذى يقدم للمؤمن .. لعباد الله وعدا لابد أن يتحقق ﴿ **إنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ [1].

١،٢،٣،٤ سورة البقرة الآية ١٨٦

وهذا الوعـد من الله – تبارك وتـعالى – لايمكن أن يتـخلف فـالصائم اذا دعـا ربه لابدأن يسـتجـاب له وفى الحـديث « ثلاثة لاترد دعوتهم الامـام العادل والصائم حـتى يفطر ودعوة المظلوم يرفـعهـا الله فوق الغـمام ويفـتح لهـا أبواب السمـاء ويقول لهـا وعزتى وجلالى لأجيبنك ولو بعد حين ».

هكذا نجـد أن الآية وهى تعـقب على فرضـيـة الصيـام وعلى أحكامه تحاول أن تقول لعباد الله الذين يستجيبون لأمره ويلبون داعيه نقول لهم : إنكم بإنصياعكم لأمر الله وإلتزامكم بفريضته انما تقتربون من جناب الله وحضرته اقترابا يخصكم الله به وهو أيضا يقـترب منكم ، أنت عـبد تعيش علـى هذه الأرض تخالط أحـوالهـا المادية ولا تـكاد تحس بشئ أخـر لكن الله – تبـارك وتعالى – فى عليائه وكبريائه يقترب منك ويستمع إليك وتصله دعـوتك ويسـتـجـيب لهـا ويأمـرك هذا الأمـر الراقـى الرقـيق

---

١ – سورة البقرة ١٨٦

﴿فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ (1).

هكذا تلح الآية فى محاولة أن تجتذب هؤلاء المؤمنين من عباد الله وتضعهم فى اطار من خشية الله ومن سمع الله .. ومن استجابة الله لدعائهم بحيث يشعر المؤمن أنه بالتزامه لأوامر الله– عز وجل – وبصومه رمضان وتقربه الى ربه قد اكتسى كسوَة عظيمة من الرضا الإلهى وضمن أن يستجيب الله لدعائه وأعظم الدعاء أن يطلب العبد من ربه الرضا والغفران فالصائم يضمن الغفران اذا دعا الله به **﴿فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾**(2) ولعل هنا تفيد التأكيد ، أى : إذا استجابوا لله وآمنوا به فإنهم يرشدون قطعا لأن لعل وعسى من الله – تبارك الله – لاتفيد الرجاء وانما تفيد الوعد المؤكد المحقق .

هكذا يتحدث القرآن عن هذه الفريضة وأسأل الله – تبارك وتعالى – أن يجعلنا دائما من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴿ أولئك الذين هداهم وأولئك هم أولوالألباب ﴾ (3).

---

1 ، 2 ، 3– سورة البقرة 186.

تصحيح المفهوم الخاطىء

يقـول الله – تبـارك وتعـالـى – فى كـتـابه الكريم من سـورة البقرة أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسـائكم هن لبـاس لكم وأنـتم لبـاس لهن علم الله أنكم كنتم تختـانون أنفسكم فـتاب عليكم وعفـا عنكم فالأن باشروهن وابتغـوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربـوا حتى يتبين لكم الخـيط الأبيض من الخيـط الأسـود من الفـجـر ثم أتموا الصـيام الى الليل ولاتبـاشروهن وأنتم عـاكفـون فى المسـاجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتـقـون * ولاتأكلـوا أمـوالكم بينكم بالبـاطـل وتدلوا بهـا إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**﴾(١).

١– سورة البقرة الآية ١٨٧، ١٨٨.

* هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٢ صفر ١٤١٢هـ– ٣١ يوليو ١٩٩٢ من خلال تفسير سورة البقرة للآيتين ١٨٧، ١٨٨ .

هذه الآية تتم حديث القرآن عن الصيام في هذا الموضع من سورة البقرة ومن المؤكد أنكم تعرضتم فى خلال شهر رمضان مما مضى من الشهور الكثيرة من حياتنا لفهم أحكام هذه الأية وهى أية جاءت تيسيرا أيضا وتخفيفا على المؤمنين لأنهم كانوا يتصورون أن الإنسان اذا أذن المغرب وأفطر فانه يحل له عند أذان المغرب الطعام .. والشراب .. والجماع ..أى مباشرة النساء – حتى إذا نام بعد ذلك لم يعد من حقه لا أن يأكل ولا أن يشرب ولا أن يرفث – أى : يتصل بالزوجة – كانوا يتصورون ذلك وكان بعضهم بعد أن يَطعم طعام الافطار يَركن الى النوم قليلا للراحة فإذا استيقظ حَنّ الى زوجه ورغب فيها ، فكان بعضهم يقع فى هذا المحظور الذى كان يتصورونه محظورا فى أول فرض الصيام .

وذهب بعضهم الى رسول الله ﷺ وشكا له ماحدث وكأنما كانوا يعتذرون الى رسول الله ﷺ ويسألونه أن يعلمهم كيف يتوبون من هذا الذنب ﴿ **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم**

فتاب عليكم وعفا عنكم ﴾[1] فـأباح الله – تبارك وتعـالى – للرجال وللنساء هذه المباشرة وهذا الاتصال من أذان المغرب الى أذان الفـجـر ، جـعلهـا فـتـرة اباحـة للطعـام .. وللشـراب .. وللاتصال بين الرجل والمرأة ، وهذا حكم معروف ، لكن الذى يلفـتنا دائمـا فى لغة الـقرآن هو هذه الشـفـافيـة وهذه الرقـة التى يتحدث بها عن العلاقة بين الرجل والمرأة .

* * *

١- سورة البقرة الآية ١٨٧.

العلاقة بين الرجل والمرأة

فى كل موقف .. فى كل مناسبة يأتى ذكر المرأة وذكر الرجل والعلاقة بينهما يتحدث القرآن حديثا رقيقا عاطفيا يزين للرجل وللمرأة حياتهما المشتركة وأنه من الواجب أن يحتفظا فى حياتهما بهذا المستوى الرائع الراقى جدا من العلاقة بينهما .

كأنما يستبعد القرآن أن تتحول العلاقة بين الرجل والمرأة الى علاقة آلية ميكانيكية ، علاقة مثل علاقة الناس بعضهم ببعض فى الشارع أو فى السوق !! العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة لها خصوصية إلهية ، لأنك لم تملك الانتفاع والاستمتاع بالمرأة إلا بكلمة الله ، فتذكر دائما أن الله هوالذى جمعك بها ، وهو الذى كتبها لك وكتبك لها ، ومن العيب أن تتحول العلاقة الإلهية التى خلقها الله وأوجدها وأرادها على عينه وفطرها بيده وبإرادته ..من العيب أنت تتحول إلى علاقة مهاترة أو إلى علاقة خصومه ، واساءة متبادلة ، ان الله بينكما .. إن الله معكما ..

وأنتما شريكان والرسول ﷺ يقول : « يد الله على الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان أحدهما صاحبه نزعت البركة منهما » .

هذه الشركة التى عبر عنها القرآن تعبيرا راقيا جدا فقال :

﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم** ﴾[1] يعنى الاتصال بهن ثم يقول: ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ [2] اللباس هنا مايستر فعلاقة المرأة بك أنك سترها وهى سترك ، لم يقل أكثر من هذا ليدل على أن العلاقة حميمة جدا لصيقة جدا بينكما ، وأنه لايوجد أقرب الى بدن الانسان من لباسه ، هل هنالك ماهو أقرب بعد الله – تبارك وتعالى – الذى يقول : ﴿**ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[3] **هل هنالك بعد ماالله – تبارك وتعالى– ماهو أقرب للانسان من لباسه الذي يلبسه لاشىء هذا هو التعبير القرآنى الذى يفيض رقة .. وحبا .. ونورا ربانيا .**

١، ٢– سورة البقرة الآية ١٨٧.

٣– سورة (ق) الآية ١٦

نحن نتصدى للكشف عن هذه العلاقة لأنها فى الحقيقة كثيرا مايتحرج المتحدثون أن يتكلموا عنها الناس يتحدثون فى كل شيء إلا فيما يخص الرجل والمرأة ، هذه مسائل خاصة لاينبغى أن تنكشف ، وأن تكون موضوعا لحديث الناس فيما بينهم .

وبالطبع لاينبغى أن يتحدث الإنسان عن شأنه مع زوجته أبدا هذا حرام.. حرام .. حرام والرسول ﷺ يقول :« كل أمتى معافى الا المجاهرون » . . « كل أمتى معافى الا المجاهرون ، قالوا: وما المجاهرون يارسول الله ؟

قال : الرجل يبيت يستره ربه ويصبح فيكشف ستر الله عنه يقول لاخوانه فعلت كذا فى هذه الليلة وفعلت .. وفعلت .. وفعلت .. يبيت يستره ربه ويصبح فيكشف ستر الله عنه .

فالعلاقة خاصة جدا ، ليس من حق أى انسان أن يعرف عنها شيئا بين الزوجين ، ولايتحدث بها أى الطرفين لغيرهما ، مابينهما هو سر منكم لاينبغى أن يتحدث عنه أحد .

ولذلك أراد القرآن أن يتعرض لهذه المسألة ، تعرض لها من بعيد فقال ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث** ﴾[1] الرفث هو القبلة.. والمقدمات ، ولا يصل الى كلمة الصراحة التى تعبر عن هذه العلاقة ، انما يذكرها من بعيد ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث**﴾[2] يقول كلمة يرخص فيها ، يعنى كلمة لاتستطيع أن تقولهاأمام الناس ، وتستطيع أن تقولها أمام زوجتك ، وهى تقولها لك هذه المقدمات وما بعدها لاشأن للقرآن به .

ثم يقول : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ [3] فيتكلم عن الثياب ولا يتكلم من الأجسام .. لايتكلم عن شىء مستور ولا يفضح المستور أبدا، ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾ [4] هذه روعة القرآن وعظمة أسلوبه وهو ماينبغى أن يتعلم منه الانسان المسلم لايجعل حديث الجنس وحديث العلاقات بين الناس حديثا مطلقا مفضوحا لأن هذا خروج على أدب القرآن .

١- سورة البقرة الآية ١٨٣.
٢- سورة البقرة الآية ١٨٥.

الاعتكاف

﴿ **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم** ﴾[1] وهذا يسر من القرآن ﴿ **فالأن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد** ﴾ [2] لأن الاعتكاف يحول بين الانسان وبين ما يحل له فى بيته فالاعتكاف مكوث فى المسجد لايخرج منه الانسان إلا لقضاء حاجته ثم يعود الى المسجد ليقرأ القرآن وليتعلم الفقه وليصلى لربه تقربا .. الى أخره وذلك فى العشر الأواخر أو مايتيسر من العشر الأواخر فى رمضان ﴿ **تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾ [3].

---

١ – سورة البقرة الآية ١٨٧ .

٢– سورة لبقرة ١٨٧.

٣– سورة البقرة الآية ١٨٧ .

قضية الأموال

ثم يتعرض القرآن تعرضا مدهشا لمسألة غريبة يقول :

﴿ ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾[1] هو هنا ينهى أن يسرق بعض الناس أو يغتصب أو يستولى على مال بغير حق ثم يلجأ إلي رشوة القاضي والحاكم حتى يحكم بحل هذا المال **﴿ لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾**[2] هنا يحرم أكل أموال الناس بالباطل للاستيلاء على هذا المال بأي أسلوب.

كان ينبغى أن يتنزه المسلم عن أن يستولى على أموال الناس بالباطل ، وأن يأخذ ماليس له بحق ، ثم هومنهى عن أن يلجأ الى الحكام يرشوهم بالمال ليؤكد قبضته على ما أغتصب من مال وماسرق **﴿ لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم**

---

١ ،٢- سورة البقرة الآية ١٨٨.

تعلمون ﴾ (١) وهى جريمة تضاف الى جريمة أكل أموال الناس بالباطل بمعنى أن أكل أموال الناس بالباطل جريمة ، ثم ولعل بعض الناس يأكل بعض المال وهم لايعلمون ، أنه حرام فأما إذا كانوا يعلمون فهى جريمة مضاعفة لاتقل عن الجريمة الأصلية وهى أكل أموال بالباطل وأنتم تعلمون .

وهنا سؤال يرد على خاطر الانسان فالقرآن ان يتحدث عن الصيام ويتحدث عن بعض الأحكام المتصلة بالصيام ، ثم ينتقل مرة أخرى الى شئون الأموال والى حقوق العباد وهى نقلة غريبة لأنهاليست من طبيعة الموضوع الذى يتحدث عنه القرآن خصوصا أنه سيأتى بعد ذلك ليتحدث عن الأهلة ﴿ **قل هى مواقيت للناس** ﴾ (٢) والأهلة متصلة أيضا بالصيام لأن هلال رمضان من الأهلة وهلال ذى الحجة من الأهلة ، فكيف يقحم القرآن قضية الأموال فى هذا المكان ؟؟ .

١- سورة البقرة الآية ١٨٨.

١- سورة البقرة الآية ١٨٩.

الصيام وحرمة الأموال

والواقع أن هذا هو مكانها لأن القرآن أمر بالصيام عن الحلال وهو في هذه الآية يأمر بالصيام عن الحرام ، هو في الآية

﴿ كتب عليكم الصيام ﴾(١) **﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾** (٢) يأمر بالصوم عما هو حلال ، يأمر بالصوم عن الطعام .. وعن الشراب .. وعن النساء وفي هذه الآية يزيد فيضيف أمرا بالصيام الذى لايقتصر على شهر رمضان فحسب، وانما يشمل العمر كله فينبغي أن يصوم الانسان عن أموال الناس، عن أكل الحرام ، بعض الناس يتحرج اذا كان مثلا في شهر رمضان أن يرتكب ظلما ، أو يحدث جريمة ، فيقول اننا في شهر مبارك لايصح فيه ذلك ، ثم يستحل ذلك بعد ذلك أو يذهب الى الحج مثلاً وبعد الحج هنالك مدة يظل فيها يشعر فعلا

١- سورة البقرة الأتية ١٨٣.

٢- سورة البقرة الآية ١٨٥ .

أنه جاء من بيت الله الحرام وأنه كان عند رسول الله ﷺ فلا يليق أبدا أن يرتكب جريمة سرقة .. أو جريمة غصب .. أو جريمة مغالطة .. أو خنصرة .. أو أونطة من التى يرتكبها بعض الناس بالفهلوة التى نعرفها مثلا ، حتى إذا أصبح ذكر الحج ضئيلا فى نفسه واحساسه بالحج يغيم ويغيب عنه يبدأ فيعود لسيرته الأولى من الغصب .. ومن اللطش ..الى أخره .

يأتى القرآن هنا فيأمر بالصوم عن الحرام أمرا مطلقا مادام فى البدن نَفس يتردد ﴿ **ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ (١) هى مساوية لقوله: ﴿ **كتب عليكم الصيام** ﴾ (٢) لكن كتب عليكم الصيام كفريضة فحسب أما هذا الصيام فقد كتب عليكم مادمتم مؤمنين ومادمتم ترون الحق حقا والباطل باطلا .. ومادمتم تعرفون الحلال والحرام فعليكم بالصيام عن أموال الناس. بالصيام عن المظالم ﴿ **لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام** ﴾ (٣) .

١،٣- سورة البقرة الأية ١٨٨.
٢- سورة البقرة الآية ١٨٣.

كأنما كـان القرآن يتتبع هنـا حياة النـاس الى يوم القيـامة لأن الناس فـعـلا فـى زمـاننا يرتكبـون أبشع المنكرات تحت وهم أن القانون يبيح لهم أن يستولوا على هذه الأمـوال ، القاضى حكم بأنهم أصـحاب هذه الأموال ، الـقاضى هو المسئول !! .. لا .. القـاضى ليس مسـئولا ، رسـول الله ﷺ تعرض لهـذه المشكلة عندما قـال : « إنما أنا بشر وإنكم تختـصمـون إلىّ » يعنى يذهب إليه الخصوم فـيعرضون عليه قضيتـهم كل خصم يضع حجة بين يدى رسـول الله فيقضى رسـول الله ﷺ لمن له المال بمقتضى أن أدرك أن حجته أقوى ، فصاحب الحق هو صاحب الحجة ، لكن قديحدث أن يكون صـاحب الحق مريضا، وغيـر قادر على بيان حجتة وقد لايجد صاحب الحق من يشهد معه .

* * *

ظاهره خطيرة

جربت أنا هذه المشكلة كانت لى مشكلة فى بلدتى وذهبت الى العمدة وشيخ البلد أطلب منهما أن يجيئا معى ليشهدا الحق فقال العمدة: لا .. يادكتور كيف أبيع ابن بلدى وأنت رجل تعيش فى القاهرة بعيد عنا، أما هذا الرجل فيعيش معى فى البلدة كيف أشهد ضده فقلت له : إنك ينبغى أن تقول الحق فقال : لا: يادكتور ليس هنالك حق مطلق .. الحق هو ما أستطيع به أن أتعامل مع الناس، أما الحق الذى فى بالك فلا شأن لنابه، وانتهت المسألة وانصرفت وأنا مكسور الخاطر، شاعر بأن المجتمع فقير من الناحية الأخلاقية .

يعنى أنا لم يعد يهمنى مسألة حقى أنا مباشرة بقدر احساسي بالعذاب وبالحزن على أن المجتمع فقد حتى عند القمم – العمدة وشيخ البلد – فقد الاحساس بالحق ، هذه مأساة ، لأن معنى ذلك أن أصحاب الحقوق لايجدون حقهم الا إذا استطاعوا أن

يعطوا العمدة .. والعمـدة يعيش على عطايا أصحاب أو طلاب الحقـوق .. على أصحاب الظلم والمظالـم يعيش عليهـا وهو مثل سيئ .

حقـيقة فى كـثير من النمـاذج هناك رجال أقوياء ويشـهدون الحـق ولا يهمهم، هنالك رجـال، ولكن نموذج النفـاق والجبن وتضـيع الحقـوق هو النمـوذج الشـائع الذى يفقـد فـيه الرجـال رجولتـهم ويفقـدون نخوتهم ولا يعود واحـد منهم أن يزعم أنه رجل أو على قـدر من الايمان أو أنه قـادر عـلى أن يحق الحق بين الناس هذه هى مأساة المجتمع أنه فقد القدرة على أداء الحق وفقد القدرة على الشهـادة بالحق والله يقول : ﴿ **ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم** ﴾ [1] .

ومن هنا تأتى قضية المال والأمـوال والنهى عن أكلها والأمر بالصوم عنها أمرًا مهمـا كأنه يقول انك اذا صمت ألف رمضان وأكلت مالاباطلا ضاع حـقك وضاع صومك فلا قيـمة للصوم

١- سورةالبقرة ٢٨٣.

لو صمت ألف رمضان وتجرأت على مال إنسان تأكله على غير حق فقد أفطرت كل حياتك وأذهبت ثواب صومك مدى حياتك فوضع هذا الأمر هنا ليس أمرا اعتباطيا ولا لأي شيء وإنما لحكمة بالغة ان كنت تريد أن يصح صومك وأن يتقبل الله منك صومك فلا تأكل حراما واذا أردت أن تصحح وتتوبْ فرد الحرام الى أصحابه وتخلص منه فورا وإلا ضاعت حياتك الدينية تماما وفقدت مصيرك بين يدى الله ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلاً** ﴾س(١) هذا المكان الرائع لاينااله أولئك الذين يأكلون أموال الناس بالباطل سواء أكانت عقارا .. أو مالا .. أو .. الى آخره .

يجب أن ننقي حياتنا من هذه المفاسد لأن مجتمعنا لن يسترد عافيته الا اذا سار على صراط مستقيم ﴿ **تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون** ﴾(٢) .

***

١- سورة الفرقان الآية ٢٤.

٢- سورة البقرة الآية ١٨٧.

التقوى والصيام

نحن فى رمضان مأمورون أن نصوم لاتصوم معدتنا فحسب ولا تصوم عن الطعام والشراب مثلا فحسب وإنما تصوم ألسنتنا عن الكذب وعن الغيبة وعن مفاسد وشرور الكلام وتصوم أعيننا عن رؤية حرمات الناس ومن تتبع عوراتهم وتصوم قلوبنا عن الشكوك والريب وعن اضمار الحقد والشر لعباد الله وكل هذا محصلته التقوى لأن القرآن قال : ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ [١] فمحصلة الصيام هى التقوى وفى الآيات من سورة الأحزاب ﴿ **يأأيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدًا** ﴾ [٢] هذا ليعلم الناس أن التقوى هى ثمرة العبادة وأن الصلاة تؤدى الى التقوى .. والصوم يؤدى الى التقوى .. والزكاة تؤدى الى التقوى .. والحج يؤدى الى التقوى .

فالتقوى هى مجموع الفضائل التى جعلها الله – سبحانه

١- سورة البقرة ١٨٣.
٢- سورة الأحزاب ٧٠.

وتعالى – ثمرات للعبادة فاذا قال : ﴿ **اتقوا الله وقولوا قولا سديداً** ﴾[1] فإن معنى ذلك صوموا عن القول غير السديد .. صوموا عن الكلام الفارغ .. صوموا عن البذاءة وعن الفحش وعن تناول أعراض الناس وعن الخوض فى سير الناس . صوموا عن كل مايغضب الله – عز وجل –

صوموا عن الفوضى التى تعيشون فيها كلاما وثرثرة وضوضاء لاعائد لها ولا فائدة . فليست الحكمة فى الصوم أن نجوع لكى نوفر لله رغيفا .. وليست أن نعطش لكى نوفر جرعة ماء وانما الحكمة من الصوم تعود الينا نحن أن نصنع الخير فى المجتمع وصناعة الخير ليست مجرد أن نجوع وأن نعطش وإنما صناعة الخير أن يترقى الناس وأن يتجنبوا زلات الألسنة أن يمسكوا عن الثرثرة . عن الخوض فى الأعراض .. عن الفحش .. عن كل مايقلق الحياة من حولهم وبذلك يأمن الناس حين لايتبادلون بهذه العملة عملة البذاءة وعملة الفحش وعملة السباب .. وعملة اللعن وسب الدين .

١– سورة الأحزاب ٧٠.

أثر الصوم على المجتمع

كل هذا فى الحقيقة أثر من آثار الصوم لأنه كما أن الفرد ملزم بالصوم فكذلك المجتمع الفرد الذى يجوع يشعر بالصوم في داخله والذى يعطش يشعر بالعطش فى داخله أما الذى يمسك لسانه عن أذى الناس فإن المجتمع هو الذى يشعر بهذا الصوم الناس يرون أنهم تعودوا مثلا من فلان أن يكون فاحشا وبذيئا فى كل مكان فإذا جاء الصوم استراح المجتمع من صوته .. استراح الناس من لسانه وحينئذ يصبح الصوم شعيرة للمجتمع وأثراً من آثاره فى المجتمع كما أن الصوم شعيرة للفرد واحساس داخلى للمجتمع احساسه . وللفرد احساسه .

وفى مجتمع الصائمين يعيش الناس حياة آمنة هادئة يتحقق فيها فعلا قول رسول الله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ولا شك أن أيدينا تتحدث الآن احاديث خبيثة مقلقة مزعجة جدا للأيدى أحاديث كما أن للألسنة أحاديث

ومن أراد أن يتأكد من هذه الحقيقة فليخرج الى الشارع وليستمع الى الضوضاء التى تحدثها السيارات بإستخدام الكلاكسات فيجد أن الأيدى تصرخ والناس تصم آذانهم وكأننا فى شارع مجنون كأننا فى مجتمع فقد عقله عندما نجد الضوضاء البشعة من أصوات السيارات وهدير المحركات تقلق الناس وتزعجهم وتحرق أعصابهم .

لاشك أننا مكلفون أن نكف عن مثل هذا السلوك الخبيث الذى يدمر أعصاب الناس ويهون من شأن المجتمع ويحول حياة الناس الى عذاب دائم من القلق .. ومن الاضطراب .

* * *

الفهرس

الموضوع

الجمعة اليتيمة في
جامع عمرو بن العاص

كان الخليفة الفاطمى يسير بركبه للاحتفال برؤية هلال رمضان ثم يستريح الجمعة الأولى وفى الجمعة الثانية يؤديها فى الجامع الحاكم والجمعة الثالثة فى جامع الأزهر أما الجمعة الأخيرة فكان يؤديها فى جامع عمرو بن العاص حيث يسير بركبه فى موكب حافل بمظاهر الأبهة والعظمة من دار الإمارة إلى الجامع وكان يشرف صاحب بيت المال فى صبيحة هذا اليوم على تأثيث الجامع .